

مفهوم الثقافة الإنسانية التصور القرآني

دراسة موضوعية

محمد عبد الرحيم جمعة سليمان

أستاذ مشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، أما بعد: فإن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو البحر المحيط الزاخر بكل النفائس والمعجزات تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشفاء والرحمة والموعظة الحسنة. يتفق الكثير من أهل الفكر والثقافة على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم أن الإنسانية تعيش اليوم أزمة خطيرة بسبب ما يشهده العالم من صراعات عرقية، ودينية وسياسية وثقافية وفكرية ومذهبية وما هذه الحروب والصراعات إلا نتيجة لفقدان البوصلة التي تجمعهم والتي أدت إلى حالة من التيه والاعتراب لاحد لها. لقد أدت هذه الصراعات المتكررة إلى طمس فطرة هذا الإنسان؛ فأصبح العالم يعيش ردة حقيقية عن هذه الفطرة مما استدعى الكثير من أصحاب الفكر، والثقافة، والأدب في مشارق الأرض، ومغاربها إلى البحث في إيجاد مخرج يعيد الإنسانية إلى سيرتها الأولى. وقد تسابق الجميع على تقديم ما لديهم من أطروحات تستهدف جمع شتات البشرية حول مكون واحد بعيدا عن الفرقة والخلافات التي تمن من وطأتها والتي تهدد الكيان البشري في وجوده من الأساس. ومراجعة هذه الأطروحات نجدها في مجملها قاصرة ولا تفي بحاجة الإنسانية فيما تأمل. فهذا هو المكون الثقافي الغربي يفلس في جمع البشرية ومن قبل أفلس المعسكر الشيوعي الاشتراكي في هذا المجال.... وبسقوط الاتحاد السوفيتي كتبت شهادة وفاته. ويرجع هذا الإخفاق إلى عدة أسباب أهمها:

التمهيد:

حينما خلق الله جل وعلا الإنسان لم يتركه هملا؛ بل وضع له البرنامج الكامل الذي سيسير عليه حتى يحقق الغاية التي من أجلها خلق مصداقا لقوله تعالى (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه: ٥٠) فهذا المخلوق الجديد قد خلق من أجل غاية عظمى هي خلافة الله في أرضه ولا بد لمن يتحمل هذه الغاية أن يكون جاهزا بكل ما يلزمه كي يقوم بما كلف به على أكمل وجه.

ومن عظيم رحمة الله بهذا الإنسان أنه أكرمه بكل ما يلزمه لكي يقوم على أمر هذه الغاية؛ حيث جعله مستقلا متفردا في خلقته فعدل قامته وجعله يمشي على قدمين ومهد له الأرض تمهيدا، وجعلها صالحة لإقامته كما كرمه على جميع مخلوقاته فسخر له كل شيء.

ومن عظيم فضله عليه أكرمه بنعمتين عظيمتين جعلتاه سيدا متصدرا لجميع المخلوقات وهاتان النعمتان هما العقل والمعرفة:

أولا: نعمة العقل التي لولاها ما عرف الإنسان الدين والخير والشر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، فالعقل هو دليل الإنسان في هذا الكون وبدونه يكون كالبهائم كل هم الأكل والشرب والشهوة. يقول ابن حبان (فالعقل به يكون الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله، وهو من أفضل مواهب الله لعباده، وهو دواء القلوب، ومطية المجتهدين. (١)

ثانيا: المعرفة وهي النعمة الثانية؛ فلقد زاده الله شرفا وتكريما بتعليم أباه آدم الأسماء كلها وهذه النعمة التي أسجدت له الملائكة اعترفا بفضل الله عليه يقول صاحب الظلال مثنيا هذه النعمة العظيمة (ها نحن أولاء - بعين البصيرة في ومضات الاستشراق - نشهد ما شهدته الملائكة في الملاء الأعلى.. ها نحن أولاء نشهد طرفا من ذلك السر الإلهي العظيم الذي أودعه الله هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد الخلافة. سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها - وهي ألفاظ منطوقة - رموزا لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض. ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى، لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، والمشقة في التفاهم والتعامل، حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه.. الشأن شأن نخلة فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا باستحضار جسم النخلة! الشأن شأن جبل. فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بالذهاب إلى الجبل! الشأن شأن

١ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان، ص ١٦ - ١٩، باختصار شديد. المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مقبذ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء: ١

فرد من الناس فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بتحضير هذا الفرد من الناس ... إنها مشقة هائلة لا تتصور معها حياة!

وإن الحياة ما كانت لتمضي في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. (١) وهاتان النعمتان هما سر حياة هذا الإنسان على هذا الكوكب وعنوان بقائه فيه حيث أنه لما أهبط إلى الأرض لم يشعر بالغرابة كما لم يشعر بالوحشة.

نقول: بهاتين النعمتين تفاهم وتآلف مع جميع مخلوقات الله من حوله فأصبح جزء أصيلا منها يؤثر فيها ويتأثر بها ورويدا رويدا أصبح محور الحياة على الأرض وأشغل نفسه بالمهمة التي جاء من أجلها وهي خلافة الله في أرضه فقد كان آدم أبو البشر نبيا عابدا لله تبارك وتعالى موحدا له وسار أولاده من بعده على أثره قال ابن تيمية (ولم يكن الشرك أصلا في الآدميين بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله لاتباعهم النبوة). (٢) وقال بن عباس رضي الله عنه (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام)** وامتدت الحياة واتسعت الرقعة البشرية شيئا فشيئا بل تعددت وأصبحت في أماكن مختلفة، وأصبح الإنسان في كل يوم يمر عليه يتعلم الجديد والجديد في كل مجالات الحياة وباكتشافه للنار والزراعة استقر في تجمعات حول موارد المياه كالأنهار والآبار، وغيرها ومن هنا بدأت معالم حضارته في الظهور والنمو يوما بعد يوم فأصبح لكل مجتمع شخصيته المعرفية والأخلاقية والسلوكية المتفردة المستقلة وهذا ما يسمى في عصرنا الحالي بالشخصية الثقافية. ولم تكن التجمعات البشرية على قدم المساواة بالنسبة للتقدم والنمو الحضاري وذلك لاختلاف ظروف كل تجمع حيث هناك تجمعات ساعدتها الظروف المكانية والطبيعية على النمو السريع^٢ وهناك تجمعات لم تساعدها ظروفها على النمو فتأخرت ومن هنا تباينت الثقافات وتعددت وتنوعت حتى أصبح لكل ثقافة شخصيتها المستقلة ودرجة تقدمها ومن هنا احتاج الإنسان إلى التعلم وتبادل الخبرات المعرفية والأخلاقية والسلوكية فانتقلت من مجتمع إلى مجتمع وبناء على ذلك تعددت الثقافات فكل مجتمع

^٢ (١) تفسير الظلال ج ١ ص ٥٧ المؤلف سيد قطب إبراهيم الناشر دار الشروق - مصر سنة النشر: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ١٠٦ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م

**أخرجه الحاكم في مستدرکه ج ٢ ص ٤٨٠ = المستدرک على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ عدد الأجزاء: ٤

عنده من الثقافة ما يتبادل به مع باقي المجتمعات المحيطة به. وبهذا التعاون نمت ما يسمى بالثقافة الإنسانية الجامعة.

المبحث الأول: تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً وكيف تحدث عنها القرآن.

أولاً: الثقافة لغة: أصل الثقافة في اللغة العربية مأخوذ من الفعل الثلاثي (ثقف) بضم القاف وكسرهما. وتطلق في اللغة على معانٍ عدّة، فهي تعني: الحدق، والفطنة، والدكاء، وسرعة التعلّم، وتسوية الشّيء، وإقامة اعوجاجه، والتأديب، والتّهذيب، والعلم، والمعارف، والتّعليم، والفنون. قال ابن فارس: (ثقف) الثّاء، والقاف، والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشّيء. ويقال ثقفت القناة إذا أقمت عوجها ورجل ثقف لقف، وذلك أنّ يصيب علماً ما يسمعه على استواء (١). وفي تهذيب اللغة: قال ابن السكيت: رجل ثقف لقف إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به... ويقال: ثقف الشّيء، وهو سرعة التّعلّم (٢) وعند ابن منظور*: ثقف: ثقف الشّيء ثقفاً، وثقافاً، وثقوفةً: حدقه، ورجل ثقف، وثقف، وثقف: حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا: ثقف لقف... ابن دريد: ثقفت الشّيء: حدقته، وثقفته إذا ظفرت به. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَقْتَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال: ٥٧) أي: تظفر بهم وتمكن منهم. وثقف الرجل ثقافة أي: صار حاذقاً خفيماً مثل ضخم، فهو ضخم، ومنه المثاقفة. وثقف أي: صار ثقفاً مثل تعب تعباً أي: صار حاذقاً فطناً. وهو غلام لحن ثقف أي: ذو فطنة ودكاء، والمراد أنّه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه (٣) ومن هنا نقول إن الثقافة في اللغة لها مدلولات كثيرة. فهي تعني: الفهم، وسرعة التّعلّم، وضبط المعرفة المكتسبة في مهارة، وحدق، وفطنة.

الثقافة اصطلاحاً:

٣ (١) معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٨٢، بتصريف المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦

(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج ٩، ص ٨١، ط ١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ص ١٩، ج ٩، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ بتصريف

(٤) أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، ص ٩، مؤسّسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠١م.

(٥) مقدمات في الثقافة الإسلامية، مفرح بن سليمان القوسي ط ٣، الرياض ١٤٢٤ هـ، ص 36.

قيل: هي "الرُّفِي في الأفكار النَّظَرِيَّة، وذلك يشمل الرُّفِي في القانون، والسِّيَاسَة، والإِحاطَة بقضايا التَّاريخ المهمَّة، والرُّفِي كذلك في الأخلاق، أو السُّلوك، وأمثال ذلك من الإِتِّجاهات النَّظَرِيَّة" (٤) وقيل: «جملة العلوم، والمعارف، والفنون الَّتِي يطلب الحذق بها» (٥) نستطيع أن نقول أن المقصود من الثَّقافة مصطلحًا يعني: ((العلم الَّذِي يبحث كِلِيَّات الدِّين في مختلف شئون الحياة. فإذا نزلت بهذا التعريف على دين معين اختصَّت بكِلِيَّات ذلك الدِّين.

٤ فالثَّقافة الإسلاميَّة هي ((علم كِلِيَّات الإسلام في نظم الحياة كِلِّها بترباطها. (١) ومن هنا يمكننا القول: أن العرب قد عرفوا مادة (ثَقَّفَ) بعدة معانٍ متنوعة يرجع بعضها إلى أمور معنوية، كما يرجع البعض الآخر إلى أمور حسية، وإن كانت دلالتها على الأمور المعنوية أكثر من دلالتها على الأمور الحسية. (٢) فمن المعاني الحسية لكلمة ثقف في اللغة العربيَّة تقويم الاعوجاج والاستقامة، ويُقال للرمح إذا تمَّ تعديل اعوجاجه بثقف الرُّمح، التسوية، كتسوية السيوف، إدراك الشيء والظفر به، الغلبة، الأخذ في قوة، الإصلاح، الوجود. ومن الدلالات المعنوية لمادة ثقف: الحذق، الفطنة، الذكاء وسرعة الفهم، التهذيب، الظفر، التأديب، المصادفة، سرعة أخذ العلم وفهمه على أتم وجه، ضبط المعرفة المتلقاة (3) ومما لا شكَّ فيه أن أخذ العلم والفهم والمعرفة هو تعديل للإنسان وتهذيبٌ له وصياغةٌ جديدة لشخصيَّته، وبناء لعقله حتى يصبح مواكبا لعصره. كيف تحدث القرآن عن الثقافة؟

لم يتكلم القرآن عن لفظ الثقافة وإن كان تكلم عن مادة ثقف ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ (المتحنة: ٢) وهذا ما يتوافق مع المعنى الحسي للكلمة وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾ (الأنفال: ٥٧) أي: إن يظفروا بكم. مما سبق نستنتج أن كلمة (الثقافة) ذات أبعاد كثيرة ومعاني واسعة. قد يضيق عن استيعابها النطاق اللغوي لأصل الكلمة، حيث إن هذه الكلمة من الألفاظ ذات المدلول المعنوي الذي يصعب على الباحثين تحديده بدقة؛ شأنها في ذلك شأن لفظ: التربية، والمدنية، والمعرفة.. وما إلى ذلك من المصطلحات التي تجري على الألسن دون وضوح مدلولاتها في أذهان مستعمليها وضوحًا مميِّزًا ولا تختصر الثقافة في شكل من أشكال العلوم بل تشمل شتى العلوم في

٤ (١) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية، ص ٨٩، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد ٢، محرم ١٤١٠ هـ. بتصرف

(٢) انظر نظرات في الثقافة (ص: ١١) المؤلف عز الدين الخطيب التميمي الناشر: دار الفرقان للنشر والتوزيع. سنة النشر ١٩٩٩
(٣) لسان العرب مادة: ثقف (١/٣٨٢)

(٤) المورد: (ص: ٢٣٨ قاموس (إنجليزي - عربي) من تأليف منير البعلبكي، صدر عن دار العلم للملايين في عام ١٩٦٧. وقد وصل عام ٢٠٠٤ إلى الطبعة الثامنة والثلاثون

"Introduction to Human Evolution", humanorigins.si.edu, Retrieved 7-10-2019. Edited. Russell Howard Tuttle (6-9-2019), "Human evolution

جميع مجالات الحياة فهي تشمل التاريخ والأدب والطب والهندسة والحساب بمعنى آخر تشمل الجانب المعرفي والجانب السلوكي. ° وخالصة القول في ذلك: أن الإنسان المثقف يستطيع التعامل مع المعلومات الحياتية بكل سهولة ويسر لأنه يملك جانب من المعرفة عنها. وكما هو الحال عند العرب نجد أن كلمة ثقافة عند الغرب لها من المدلولات الحسية والمعنوية فقد كان يدور معناها في أصلها اللاتيني على فلاحه الأرض وتنمية محصولاتها، ثم توسعت لتشمل المعنى المادي الحسي كما سبق، والجانب المعنوي مثل تنمية العقل والذوق والأدب (٤)

المبحث الثاني: تاريخ الثقافة الإنسانية في التصور القرآني.

اختلفت الأقوال حول تاريخ المعرفة والثقافة الإنسانية وتضاربت الأقوال بحسب الأسس الذي بنيت عليها تلك الأقوال. فمن قال بتطور الإنسان ذكر الحلقة المفقودة بين أسلاف الإنسان والإنسان العاقل تم تكلموا عن مراحل كثيرة من التطور حتى وصل الإنسان إلى المعرفة. ومن قال بوحدة النشأة قال ببدائية الإنسان وتطوره من عصر إلى عصر فبدأ بالعصر الحجري فالنحاسي فالبرونزي فالحديدية فالنحاسي القديم.

أما المنهج القرآني فكان له التصور الكامل الذي يتميز بالوضوح والسهولة واليسر والبساطة فقد خلق الله آدم وحيدا متفردا في نشأته يقول تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ) (ص: ٧١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَالْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)** وفي ذلك يقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: ٣٠) قال القرطبي: والمعنى بالخليفة هنا - في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل - آدم عليه السلام، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره ؛ لأنه أول رسول إلى الأرض ، كما في الحديث عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- أنه قال: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْبِيَاءُ كَانُوا آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ مُكَلَّمٌ، قَالَ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: عَشْرَةٌ قُرُونٍ)** . ويقال: لمن كان رسولا ولم يكن في الأرض أحدا؟ فيقال: كان رسولا إلى ولده، وكانوا أربعين ولدا في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وأنثى، وتوالدوا حتى كثروا، كما قال الله تعالى: (..رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن

**٦ للسلسلة الصحيحة ١٦٣٠ • المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني* (ت ١٤٢٠) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية والحديث إسناده صحيح رجاله ثقات

** السلسلة الصحيحة، المؤلف الألباني الصفحة أو الرقم: ٣٥/٦

١- تفسير القرطبي الجامع ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٤ = الأحكام القرآن للمؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٥٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا

تَفْسِيرٌ وَوَحْدَةٌ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً.. (النساء: ١) وأنزل عليهم تحريم الميتة والدم ولحم . وعاش تسعمائة وثلاثين سنة ، هكذا ذكر أهل التوراة وروى عن وهب بن منبه أنه عاش ألف سنة. (١) نفهم من أن الإنسان وجد على الأرض عاقلا مميّزا له دين وحيثما وجد الدين وجدت المعرفة وحيثما وجدت المعرفة وجدت الثقافة.

فقد أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض ومعه من العلم ما يكفيه ليقوم به دينه ونفسه وأسرته وكان فلاّحًا يحثّ الأرض ويزرع بنفسه، وتساعدته زوجته حواء في جميع الأعمال التي تتطلبها مهنة الزراعة، ويصنع كذلك المعدّات التي تُعينه على ذلك من الخشب والحجر يقول الشيخ محمد عبده: خلق الله الإنسان أمة واحدة أي: مرتبطا بعضه ببعض في المعاش لا يسهل على أفرادها أن يعيشوا في هذه الحياة الدنيا إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضا، فكل واحد منهم يعيش ويجيا بشيء من عمله لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفير جميع ما يحتاج إليه.

٧ فلا بد من انضمام قوى الآخرين إلى قوته.. وهذا معنى قولهم: (الإنسان مدني بطبعه) (١) هكذا كانت البداية ولا حرج في أن نضيف إلى ذلك العصور التي طورت معرفته والمعروفة بالعصور التاريخية وهي: مجموعة من الأحقاب الزمنية التي مرّت في تاريخ البشرية منذ لحظة وجود الإنسان على الأرض حتى الوقت الحالي وقد تكلمنا عنها.

يحكي لنا القرآن العظيم هذا التاريخ في قوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ ۖ وَمَا اختلفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: ٢١٣) والأمة القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدى بعضهم ببعض يقول الرازي كان أمة واحدة قائمة على الحق ثم اختلفوا، وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا. (٢) وهو مأخوذ من أم بمعنى قصد لأن كل واحد من أفراد القوم يؤم المجموع ويقصده في مختلف شؤونه ومن هنا نقول أيضا أن الإنسان بدأ بمجتمع ولم يبدأ بمفرده وهذا ما يجعلنا نقول أن الإنسان بدأ حياته مثقفا وما زالت تنمو ثقافته بتطور حياته على ظهر هذه الأرض. وقد ظلت الثقافة الإنسانية

٧ (١) تفسير المنار ج ٢ ص ٢٨٢ بتصرف شديد المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بنمنلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: دار المنار، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م عدد الأجزاء: ١

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص ١١ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٥٠ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين. الناشر دار الكتب العلمية :

منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ - ٢٥٠

وحدة واحدة تنتقل من جيل إلى جيل وظل التعاون عنوانا لها مدة كبيرة من الزمن يقول الإمام ابن كثير: عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا وهكذا قال قتادة ومجاهد. ومعنى ذلك أن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحا- عليه السلام- فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. (٣) ومن هنا نقول: ظل الأمر هكذا حتى أقدم أحد أولاد آدم على قتل أخيه عندئذ تم وضع أول بذرة للشر في الأرض وبالتالي ظلت تنمو وتتحول من معصية كبيرة إلى جحود حتى وصلت إلى الكفر ومن ثم أصبح عندنا نوعين من الثقافة هما:

النوع الأول: تلك ثقافة التي توارثتها الأجيال من أبيهم آدم عليه السلام وتقوم على أمر الخلافة التي خلق الإنسان من أجلها وما يتبع ذلك من بناء شخصية إيجابية بناءة تتعامل مع مفردات هذا الكون بما أمرها الله تبارك وتعالى ويتلخص ذلك فيما يلي:

١-عزيز القيم والأخلاق والسلوك المنضبط وفق المنهج الرباني القويم القائم على عقيدة التوحيد.

2-العمل على عمارة الأرض وفق منهج الله مع بذل أقصى جهد للتعاون مع الآخر مع احترام الفوارق بين الناس.

3^٨ تبادل المنافع والخبرات بين جماعات البشر في جو من الإخاء والحب والتنافس الشريف. وقد تتابع على ذلك أنبياء الله ورسله

النوع الثاني: وهو تلك الثقافة التي ولدت من رحم الانحراف والتي اعتمدت في أساسها على ما تنطوي عليه النفس البشرية من أمراض كالحسد والحقد والأنانية والشهوانية التي توارثها الخلق عن ابن آدم القاتل وغداها الشيطان على طول الخط ومع مرور الأزمان ابتعد أصحاب هذه الثقافة عن الحق رويدا ريدا حتى أوغلوا في غيهم فكفروا بالله وأنكروا البعث والنشور وجحدوا رسله. يقول الفخر الرازي ويشهد على ذلك قوله- تعالى- (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ...) (١) فهذا يدل على أن الأنبياء- عليهم السلام- إنما بعثوا حين الاختلاف، ويتأكد هذا بقوله: وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ويتأكد أيضا بما نقل عن ابن مسعود أنه قرأ كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين...ومن ثم برزت على الأرض ثقافتين متناقضتين في الأسس والمنهج والغاية والنتائج. ومع مرور الزمن انسلخت طائفة أخرى من صفوف أهل الإيمان بانحرافهم عن العقيدة الصحيحة بادعائهم أن الله ولد وبتزييفهم للكتب المنزلة واتهام أنبياء الله بما ليس فيهم. وهؤلاء المقصودون من قوله تعالى: (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) (البقرة: ٢١٣) والمراد بهم أهل الكتاب اليهود والنصارى، واختلافهم في الكتاب يشمل تصديقهم ببعضه وتكذيبهم بالبعض الآخر، كما يشمل اختلافهم في تفسيره وتأويله وتنفيذ أحكامه وعدم تنفيذها، وذهاب كل فريق منهم مذهبا يخالف

^٨-١ تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص 11

مذهب الآخر في أصول الشرع لا في فروعها. ونفس الشيء حدث للطائفة الثانية حيث حدث الانقسام بينهم فهم وإن اتفقوا على الانحراف عن الحق إلا إنهم اختلفوا عن بعضهم فظهر أهل الكفر والشرك وظهرت الأديان الأرضية والمذاهب الفكرية والفلسفات التي أخذت تضع تصورات مختلفة متباينة للكون والحياة حتى من الله على البشرية ببعث خاتم الرسل بخاتمة الرسالات التي أزال كل أشكال التنافر والتدابير وكل أشكال الصراع بين البشر وبينت الغاية التي خلق الإنسان من أجلها وتمثلت في عبادة الله وحده لا شريك وفق منهج محدد في ظل أخوة بشرية تجمع الجميع على الحب والتعرف والتعاون على البر بكل أشكاله، فالجميع متساوون عند الله عز وجل، وهم أيضا شركاء في الإنسانية، يزيدون في رصيدها بكل نافع مفيد. وبهذا يكون قد حقق الخلافة في الأرض. ومن هنا نقول:

أولاً: إن البشرية عاشت عصرها الذهبي في ظل هذه الرسالة حيث تم القضاء على أكبر إمبراطوريتين في العصر القديم كانتا السبب في صراع بشري دام أكثر من ألف عام راح ضحيته الملايين من البشر دون أي ذنب ودخل الناس في دين الله أفواجا من كل جنس ولون.

ثانياً: إذا كنا في هذا العصر نبحث عن الثقافة الجامعة التي تخاطب الإنسان كإنسان دون النظر إلى لونه أو جنسه أو معتقده فلن نجد غير هذه الثقافة القرآنية الجامعة تحمل من المبادئ والقيم ما يغني الإنسانية عن تلك المبادئ البشرية الجهوية القاصرة التي تحكمها المصالح الذاتية القاصرة.

ثالثاً: إن البشرية لن تجد رسالة جامعة إلى يوم القيامة خيراً من هذا المنهج الرباني الذي يخاطب فيك العقل والقلب والإحساس والشعور ويهيك الحرية والعدالة والطمأنينة.

المبحث الثالث: الثقافة الإنسانية بين المنهج الرباني والمنهج الوضعي.

عرفنا أن البشرية منذ فجر التاريخ عاشت نوعين من الثقافة لكل منهما أسسه ومبادئه وتصوراته وأسلوبه في التفكير وإنتاجه الفكري والسلوكي كما له أيضا الامتداد الزمني والجغرافي.

وحينما نتكلم عن الثقافة الإسلامية نقول:

أولاً: إنها تمثل الامتداد الطبيعي للثقافة الربانية التي بدأت بآدم عليه السلام مروراً بأنبياء الله ورسله عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

ثانياً: أن أمة الإسلام تعتبر الوريث الشرعي والوحيد لهذه الثقافة الربانية وذلك لأنها هي التي تابعت مسيرتها واقتفت أثرها دون تبديل أو تحريف أو انحراف فقد خرجت من مشكاة نبوة خالصة وبذلك فهي تتميز عن سائر الثقافات ويكمن هذا التميز في أنها ثقافة محددة، لها مقوماتها وعناصرها وخصائصها الخاصة بها دون غيرها.

فالثقافة الإسلامية: هي المرأة التي تعكس عطاء الحضارة الربانية بكل مقوماتها وتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم وأهداف مشتركة على مر العصور.

ثالثاً: أن الثقافة الإسلامية مصاحبة للحضارة الإسلامية منذ نشأتها وحتى قيام الساعة كما أنها تعني بقدرة الأمة على مواجهة التحديات المعاصرة التي تواجهها أمتنا.

رابعاً: أن الدين بكل مقوماته يشكل عصب هذه الثقافة ويعبر عن كينونتها كما يمنحها شخصيتها ويمنحها القدرة على مواجهة التحديات والتغلب عليها مستمداً ذلك من تاريخه العميق على مر العصور والأزمان.

رابعاً: أن مفهوم الثقافة الإنسانية في المنهج القرآني يتمثل في قضية استخلاف الله للإنسان وأنه كان أمراً من الله سبحانه للبر عبادة الأرض وخلافته فيها، وتطبيق ما أمر الله بتطبيقه من شرائع وأحكام جاء بها أنبياء الله ورسوله من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم لتسير عليها البشرية إيماناً بأنها في هذه التعاليم الخير والسعادة لها

لقد بنى الإنسان المؤمن وجوده على الأرض وفق هذا المنهج الرباني فهو يعلم من أين أتى إلى أين يذهب حيث إنه سيبقى لمدة من الزمن -مرحلة الحياة الدنيا- ثم تأتي مرحلة ما بعد هذه الحياة وهو البعث والحساب، حيث يكون الميزان يومئذ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة: ٧-٨) وبالتالي فتثقافة المؤمنين تقوم على أن عمارة الإنسان لهذه الأرض هي امتثال لأمر الله وعليه أن يعمرها وفق منهج الله وهو يعلم أنه سيرجع يوماً إلى الله ليسأله ماذا فعل.

أما الثقافة المادية بكافة أشكالها فمركزها الفلسفات البشرية القديمة والحديثة القائمة على تحليل الوجود، والتي لم يستطع أصحابها الوصول إلى جواب حاسم يقنعون به أنفسهم فضلاً عن أن يقنعوا به غيرهم، ذلك أن الاعتماد على العقل بمحدوديته المعرفية في مسائل تدخل فيها مسائل الميتافيزيقيا أمر غير سليم ولا يؤمن معه من الخوض في متاهات لا حدود لها.

أيضاً يندرج تحت هذه ثقافة أهل الانحراف الاعتقادي الذين اختلط فيها ما هو مادي مع ما هو روحي وفق تصورات مغلوبة وطلاسم مبهمه ليس لها أساس من العقل والمنطق السليم.

ومن هنا نرى أننا بين ثقافتين بينهما من التباين الكثير والكثير وبالرغم من هذا التباين نجد أن هناك فرص للتعايش ونقاط للالتقاء بين الثقافتين وذلك لما تتمتع به الثقافة الإسلامية من خصائص تتمثل فيما يلي:

١- الربانية: فهي تستقي مبادئها من المنهج القرآني وحي رب العالمين الذي خلق الإنسان والأعلم بحال الإنسان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو مكانه وزمانه يقول تعالى:

٢- الشمولية فهي تحيط بالإنسان من كافة جوانبه سواء في ذاته أو حياته وعاشه ومعاده

٣- الثبوت: وهي ما يتعلق بالمصادر القطعية، وما جاءت به من عقائد وتشريعات وقيم ومناهج.

٤- التجدد والمرونة ويشمل ذلك كل ما يتعلق باجتهادات العلماء من المسلمين وغير المسلمين وابداعاتهم فيما فيه نفع البشرية وصيانة وحتهم وقيمهم الأصيلة.

٥- أن الثقافة الإسلامية تؤمن بوجود الخلاف والاختلاف وتسلم به فهي واضحة المبدأ والهدف والغاية لأنها من لدن رب العالمين العالم بشؤون خلقه الخبير بهم (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك: ٤٤).

٦- أن الثقافة الإسلامية تمثل رسالة سلام لجميع الخلق حيث إنها تقوم على الرحمة والتسامح والإخاء والتعاون فكان من ثمراتها أنها أخرجت كل مكونات الخير لدى الإنسان. حينما تؤسس الثقافة الإنسانية للمشارك الإنساني بهذه المبادئ العظيمة فهذا يبعث الطمأنينة في نفوس الخلق ويجعلهم أمنين في حياتهم مستشرفين لمستقبلهم بدون وصاية من أحد.

المبحث الرابع: الأسس القرآنية في بناء الثقافة الإنسانية.

٩ بنى المنهج القرآني العظيم الثقافة الإنسانية على عدة أسس أصيلة ممتزجة بكينونة الإنسان ربانية المصدر نابعة من علم الله تعالى بخلقته تتمثل فيما يلي:

١- أن الإنسان كائن مكرم بين الخلق غاية التكريم.

خلق الله الإنسان له كرما وشرفا وفضلا. وهذا الكرم نفي عنه وأكسبه ميزات خاصة به دون غيره يقول تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠) ويقول الطبري: والتكريم يكون بالسيادة على الخلق تسليطهم عليهم، وتسخيرهم لهم. (١) ومن هنا نقول أن التكريم نوعان: ذاتي في نفسه وآخر خارجي يتميز به عن غيره أما التكريم الذاتي: فقد خلقهم على أحسن هيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، كما متعهم بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يكون الفهم والتمييز والكلام والقراءة والكتابة وأما التكريم الخارجي فهم يكسبون المال ويركبون المراكب البرية والبحرية والجوية.

ثانيا: أن الإنسان كائن وحيد النشأة:

وهنا لا بد أن يقطع الشك باليقين لدى هؤلاء الذين شككوا في أصل الإنسان فقد قال تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ) (ص: ٧١) يقول صاحب الوسيط: والمراد بالبشر: آدم - عليه السلام - مأخوذ من مباشرة للأرض (٢) وها هو النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يعلنها فيقول (أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدع عن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان

٩ (1) تفسير الطبري: ج ١٥ ص ٥٥ بتصرف

(2) تفسير الوسيط ج ١٢ ص 181

** صحیح أبي داود الرقم ٥١١٦ المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع،

الكويت عدد الأجزاء: ٧ أجزاء الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - 2002

التي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّثْنَ.**) وطالما أن البشر أصلهم واحد فهم في هذه الأرض متساوون في الحقوق والواجبات توحدهم الغاية التي خلقهم الله من أجلها وهي عبادة الله وحده لا شريك له وهذا يقتضي أن يكونوا خلفاء الله في أرضه ولا تتحقق الخلافة إلا بالأخوة الصادقة ، فالجميع متساوون عند الله عز وجل، وهم بهذه الأخوة أيضا شركاء في الإنسانية، يزيدون في رصيدها بكل نافع مفيد.

ثالثا: أن الإنسان حري ارادته.

ومعنى ذلك أن لكل إنسان الحرية فيما يفكر وفيما يأكل ويشرب ويلبس ويأتي على رأس حرية الإرادة حرية الاعتقاد يقول تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: ٢٥٦) والإكراه معناه: حمل الغير على قول أو فعل لا يريد عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك. فلقد خلق الله الإنسان سيذا في نفسه حرا في اختياراته مستقلا في إرادته والمعنى: ليس في الدين- الذي هو تصديق بالقلب، وإذعان في النفس- إكراه وإجبار من الله- تعالى- لأحد، لأن مبنى هذا الدين على التمكين والاختيار، وهو مناط الثواب والعقاب، لولا ذلك لما حصل الابتلاء والاختبار، ولبطل الامتحان. فإذا أكره عليه الإنسان ازداد كرها له ونفورا منه.

١٠ نخرج من ذلك بما يلي:

- ١- أن الإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر. فهذا نداء الحق لكل البشر لا تكرهوا أحدا على الدخول في أي دين فإن الأمر واضح جلي، أما بالنسبة للإسلام فإن من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرها مقسورا.
 - ٢- إن تحرير العقل وفك قيوده والأغلال التي كانت تكبله التي فرضها عليه القياصرة والأباطرة والأكاسرة والملوك الظلمة هو منهج قرآني أصيل.
 - ٣- إن رفع الوصاية عن العقل هو مطلب قرآني حتى يكون له الحرية المطلقة في التفكير والإبداع وذلك وفق الضوابط القرآنية.
 - ٤- إن إتاحة حرية الاختيار لهذا العقل حتما سيدله على اختيار الدين الذي يتوافق مع فطرته التي فطره الله عليها والمتوائم مع طبعه المستقيم وهو الإسلام.
- رابعا: أن الإنسان مصان في ذاته وكرامته.

١٠ (١) تفسير الألوسي ج ٢٦ ص ١٥٤ = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥) ومجلد (فهارس)

لقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الفتوح الإسلامية تحقيق حرية العقل في الاختيار دون وصاية فإذا استنشق العقل نسيم الحرية وخلع عن نفسه ربة العبودية الحمقاء ونعم بالاستقلال واختار ما يصلح له في معاشه ومعاده. ومن هنا نهي القرآن العظيم عن الازدراء والتنمر بكافة أشكاله: المسألة يقول تعالى: (لَا يَسْحَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ) (الحجرات: ١١) المعنى: لا يحتقر بعضكم بعضا ولا يستهزئ بعضكم من بعض. وقوله: عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ تعليل للنهي عن السخرية. فليست الخيرية على حسب المظاهر والأحساب.. وإنما هي على حسب قوة الإيمان، وحسن العمل ونهى أيضا عن التنازير بالألقاب فقال: وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ أَي: ولا يخاطب أحدكم غيره بالألفاظ التي يكرهها، بأن يقول له يا أحمق، أو يا أعرج، أو يا منافق.. أو ما يشبه ذلك من الألقاب السيئة التي يكرهها الشخص. فالتنازير والتعاير والتداعي بالألقاب المكروهة، ومذمومة في دين الله قال الألوسي: اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء كان صفة له أم لأبيه أم لأمه أم لغيرهما. (١)

إن ما يحزن النفس ويبعث فيها الهم والغم والحقد على الآخر هو السخرية والازدراء واحتقار الإنسان لأخيه الإنسان وظنه به ولذلك كان النهي صريحا واضحا يقول تعالى: - (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ؕ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ ؕ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢)

^{١١} إن ظن الناس بعضهم ببعض ظنا سيئا دون مبرر، وتجسس بعضهم على بعض وتناول بعضهم بعضا بالغيبة من أكبر أنواع الشقاق والعداوة والبغضاء فصيانة حرمة الإنسان لأخيه الإنسان حق واجب، فلكل إنسان حرمة وكرامته.. فحرمة سوء الظن بالناس، إنما تكون إذا كان لسوء الظن أثر يتعدى إلى الغير، وأما أن تظن شرا للتفقيه، ولا يتعدى أثر ذلك إلى الغير فذلك محمود غير مذموم. فعلى الجميع أن يتعدوا ابتعادا تاما عن الظنون السيئة بالناس لمجرد الظن بدون بينة أو دليل فذلك تهم باطلية، تؤدي إلى تولد الشكوك والمفاسد.. بين الناس. قال ابن كثير: ينهى الله عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إنما محضا، فليجتنب كثيرا منه احتياطا.. (١).

^{١١} (١) راجع تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٣٥٧.

**أخرجه مسلم (٢٥٨٩) الألباني (ت ١٤٢٠)، غاية المرام ٤٢٦ • صحيح = غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام المؤلف / محمد ناصر الدين الألباني الناشر المكتب الإسلامي. عدد المجلدات: ١. سنة نشر الكتاب: ١٤٠٠ - ١٩٨٠. عدد صفحات الكتاب: ٣٢٤. رقم الطبعة: ١

أيضا نهي الله تعالى عن التجسس والمراد منه التجسس والتحسس: وهو النهي عن تتبع عورات المسلمين، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمر: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنأدى بصوتٍ رفيع، فقال: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله** واللفظ له، ثم نهي - سبحانه - بعد ذلك عن الغيبة فقال: وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا وَالْغَيْبَةُ - بكسر الغين - أن تذكر غيرك في غيابه بما يسوءه يقال: اغتاب فلان فلانا، إذا ذكره بسوء في غيبته، سواء أكان هذا الذكر بصريح اللفظ أم بالكناية، أم بالإشارة، أم بغير ذلك. روى أبو داود وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته. وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته**

المبحث الخامس: مرتكزات الثقافة الإنسانية في التصور القرآني

للثقافة الإنسانية في التصور القرآني مرتكزات تنطلق من خلالها تتمثل فيما يلي:

أولاً: الأخوة: يقول تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: ١٠٣) هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على بني البشر عامة وعلى الجماعة المسلمة خاصة. فالناس كما يقول الإمام على رضي الله عنه: إما أخ لك في الله أو نظير لك في الخلق (١) والأخوة: نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً. وهو هنا يذكرهم هذه النعمة العظيمة. ويذكرهم كيف كانوا في الجاهلية "أعداء" وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون نار الفتنة بينهما وينفخون في نارها كلما انطفأت جذوتها حتى تأكلت كل روابط الأخوة بينهما. وهنا لطيفة لا بد من ذكرها وهي أن الأخوة والجاهلية ضدان لا يجتمعان أبداً فكلما وجدت الجاهلية بأي صورة من صورها اختفت الأخوة وحلت العداوة وكلما تددت ظلمات الجاهلية بأنوار الإيمان كلما حلت الأخوة والمحبة والوثام.

ثانياً: التسامح: لا تستوي أبداً الخصلة الحسنة والخصلة السيئة. فالحسنة جميلة في ذاتها، عظيمة في أثرها طيبة في مبنائها ومعناها.. ينتج عنها الخير كله، أما الخصلة السيئة فهي قبيحة في ذاتها وفي نتائجها. وفي ذلك يقول تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت: ٣٤) فادفع بالتي هي أحسن السيئة إذا جاءتك من المسيء، وعليك بالعفو فكله خير فقد كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يطفأ غضبه بالصبر، ويقابل قطعه بالصلة والفظاظة بالسماحة. وقوله - سبحانه - : فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ بيان للآثار الجميلة التي تترتب على دفع السيئة بالحسنة. فتقديم الخير تحول العدو إلى الصديق المحب الشفيق عليك، الصدوق معك. لأن من شأن النفوس الكريمة أنها تحب من أحسن إليها، ومن عفا عنها.

ثالثا التعاون: والبر معناه: التوسع في فعل الخير، وإسداء المعروف إلى الناس. والتقوى تصفية النفس وتطهيرها وإبعادها عن كل ما نهى الله عنه. يقول تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة: ٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)** وروى الإمام مسلم - أيضا - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا.»** قال القرطبي: قال الماوردي: ندب الله - تعالى - إلى التعاون بالبر، وفرزه بالتقوى له، لأن في التقوى رضا الله، وفي البر رضا الناس. ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعاداته وعمت نعمته. (١).

رابعا: العدالة: فالعدل هو الانصاف وإعطاء كل ذي حق حقه دون زيادة أو نقصان وقد استعمل القرآن الكريم كلمة العدل كلها تحقق هذه الغاية العظمى استعمله مقابل الظلم والبغي والجور. واستعمله أيضا في مقابل الفسق، والفجور فالظلم هو منبع الفساد والفسق والفجور. وللتأكيد على هذا المرتكز تكررت كلمة العدل ومشتقاته ثمان وعشرين مرة في القرآن الكريم، فهو يقر أن العدل المطلق هو الذي جاءت به الرسالات السماوية نحو قوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥) ومرة يذكر العدل في المعاملات بين الناس يقول تعالى على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في نحو قوله تعالى: (وَأْمُرْ بِالْعَدْلِ بَيْنَكُمْ) (الشورى: ١٥) وتارة يذكر العدل في الأحكام قال تعالى في سورة النساء نحو قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨) الفصل الثاني: مكونات الثقافة الإنسانية ومنهجها التطبيقي في التصور القرآني.

المبحث الأول: مكونات الثقافة الإنسانية في التصور القرآني.

المبحث الثاني: البناء التطبيقي للثقافة الإنسانية في القرآن الكريم.

المبحث الأول: مكونات الثقافة الإنسانية في التصور القرآني.

^{١٢} تنقسم مكونات الثقافة تنقسم إلى مكونات مادية وفكرية واجتماعية فأما المادية فتتمثل في كل ما يستعمله الإنسان في حياته اليومية من أساس ومسكن وملبس ومباني وغيرها. وأما المكونات الفكرية فتشتمل على اللغة والفن والدين والعلم وغيرها. والمكونات الاجتماعية تتمثل في البناء الاجتماعي وهو هيكل المجموعة

^{١١} (١) المصدر السابق بتصرف شديد ج ٧ ص ١٧٩.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٣٢١ للشيخ ابن عاشور = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء: ٣٠ (٣)

تفسير في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٥٧١.

الاجتماعية وما ينتج عنه وقد تكلم المنهج القرآني العظيم عن هذه المكونات بشكل مباشر وبشكل موسع شامل فاعتبر المأكل من الملبس والمأكل من الزينة التي يجب على الإنسان أن يأخذ حظه منها ويتزين بها فقال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ { [الأعراف: ٣١-٣٢] قال القرطبي: هو نداء لكل العالمين أن يوسعوا على أنفسهم إذا وسع الله. وعلى كل فكل ما يلبسه الإنسان فهو حلال بشرط أن يكون ساترا لعورته وليس فيه ما يذهب مروءته كأن يتشبه بالنساء فالرجل رجل والمرأة امرأة (١) وقوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة. فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوعة وسكن الظم، فمندوب إليه عقلا وشرعا، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس. كما أن البناء والتشييد من الأشياء التي هي من ضرورات الحياة ولكل قوم أن يتخذوا ما يناسب أحوالهم وأجوائهم المناخية ولقد ذكر الله آثار من سبق من الحضارات على مر التاريخ وجعلها للعبظة والعبرة فقال: (إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (الفجر: ٧-١٠) فهذه إرم بن سام بن نوح ذكر الله مساكنهم التي سكنوا فيها وهي بيوت ذات أعمدة، ترفع عليها وقد بلغت ثمود من الرفاهية مبلغا عظيما فهؤلاء القوم كنو يقطعون الصخور من الجبال، ليتخذوا منها بيوتهم بواديههم، أي: بالمكان الذي كانوا يسكنونه (٢) أما قوم فرعون فقد كانوا قوما أشداء شيذوا المباني العملاقة ذات الهندسة البديعة قال صاحب الظلال: وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ وهي على الأرجح الأهرامات، التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان، وفرعون المشار إليه هنا، هو فرعون الطاغية الجبار، الذي أرسل الله - تعالى - إليه موسى - عليه السلام -.. (٣)

كما تحدث عن المكون الفكري فبين الاختلاف بين بني البشر في اللغة وجعل ذلك من آيات الله في الخلق بل أوجب على الناس احترام الآخر مهما كان مختلف فقال ربنا (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِنَابُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (الروم: ٢٢) يقول القرطبي: وكانوا يعترفون بأن الله هو الخالق. واختلاف ألسنتكم وألوانكم اللسان في الفم ; وفيه اختلاف اللغات: من العربية والعجمية والتركية والرومية. واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة ; فلا تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر. وليس هذه^{١٣} الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين ; فلا بد من فاعل، فعلم أن الفاعل هو الله ولم يقف^{١٤} الأمر إلى هذا الحد بل مدح العلم وصناع الحضارة من العلماء ورفع قدرهم واحترمهم ومن

^{١٣} (١) أضواء على الثقافة الإسلامية، الدكتور أحمد فؤاد محمود، إشبيلية للنشر، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص: ١٠٢ - ١٠٣

(٢) تفسير ابن جرير ج ٢٨ ص ٤٣ جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤

الآيات التي تؤكد حبَّ العلم قوله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: ١١]، ويقول الله عز وجل: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨] وعلى مدى قرون طويلة تقترب من ألف سنة، كان العلم على مستوى العالم ينطق بالعربية، درسًا وممارسةً وتطبيقًا، ولعلماء الحضارة الإسلامية تاريخٌ حافل بالإنجازات والابتكارات الأصلية التي أفادت منها الإنسانية جمعاء، وكان اهتمام الخلفاء والأمراء بالعلم ورعايتهم لأهله، وتشجيعهم من أوائل أسباب النهضة العلمية التي عاشها العالم الإسلامي (١). فكل ما فيه إبداع يقف المنهج القرآني منه موقف الداعم والمساند بشرط أن يكون هذا الإبداع نظيفًا بعيدًا عن أعراض الناس وعقائدهم وأمواهم وأنفسهم ولا يسفه عقولهم. لقد بنت الحضارة الإسلامية مجتمعًا إنسانيًا بامتياز على مدار أربعة عشر قرنًا من الزمان. عاش في كنفها جميع الخلق على اختلاف ألوانهم وأجناسهم فهذه إفريقيا السمراء مع أهل الأندلس وشرق أوروبا مع الهند والصين لم نسمع مرة حرب قامت بين فريقين بسبب اللون أو الجنس أيضًا عاش في كنفها المسلم بجانب المسيحي واليهودي والبوزي لأن القرآن ربي الأمة على قوله تعالى: (لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المتحنة: ٨) قال ابن جرير: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقتلوا في الدين.. جميع أصناف الملل والأديان، أن تبرؤهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم.. ويشمل ذلك من كانت تلك صفته، دون تخصيص لبعض دون بعض. (٢)

أما المكون الاجتماعي فحدث ولا حرج حيث بدأ المنهج القرآني العظيم بالفرد وانتهى بالشعب واضعًا أسسا متينة لبناء الفرد والأسرة والمجتمع والشعب بل والإنسانية جمعاء فقال تعالى: والشعوب: جمع شعب، وهو العدد الكثير من الناس يجمعهم- في الغالب أصل واحد. والقبائل: جمع قبيلة وتمثل جزءا من الشعب، إذ أن الشعب مجموعة من القبائل. والمعنى: خلقناكم- أيها الناس- من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أي: ليعرف بعضكم نسب بعض، فينتسب كل فرد إلى آبائه، ولتتواصلوا فيما بينكم وتتعاونوا على ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم لا ليتفاخر بعضكم على بعض بحسبه أو نسبه أو جاهه.

المبحث الثاني: البناء التطبيقي للثقافة الإنسانية في القرآن الكريم.

إذا تحدثنا عن المنهج القرآني في تناوله لموضوع المنهج التطبيقي للثقافة الإنسانية نجده قد سار في مسارين: المسار الأول: البناء الموضوعي وقد سار فيه على عدة مسارات متوازية تتمثل فيما يلي: أولاً: ربط ثقافة الإنسانية بماضيها العريق الممتد إلى آدم عليه السلام والظروف المحيطة بخلقه وما قبل ذلك مروراً بأبناء الله ورسله وذلك لبيان أصالة ثقافتنا. ثانياً: تعزيز المنهج القرآني في التأسيس والحفاظ على ثقافة الإنسانية وحماتها من الذوبان أو الاندثار.

ثالثاً: الدعوة إلى انفتاح الإنسان على أخيه الإنسان دون أي اعتبار طالما توفر التعاون على الخير في إطار من الحب والاحترام وبما لا يهدر الثواب الشرعية والإنسانية الأصيلة ويحقق سعادة البشرية جمعاء.

المسار الثاني: بناء الإنسان المثقف الحقيقي وكيفية تلقيه للثقافة وتفاعله معها. فنحن إذا نظرنا إلى المفهوم الحديث للثقافة في تكوينه العام نجد أنه قد أخذ بالتفرع في مناحي مختلفة من أنواع العلم والفكر والمعرفة والاعتقاد والأخلاق وقيم المجتمع والآداب والوجدان والقرآن الكريم قد عالج هذا المفهوم العام للثقافة بأصله وتفرعاته وما ينتج عن ذلك من أدواته المنتجة والمثمرة كما يلي:

أولاً: أن مصدر المعرفة هو الله تعالى.

قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل: ٧٨) من خلال هذه الآية الكريمة يحدثنا القرآن الكريم أن الثقافة في تكوينها إنما هي اكتساب مما يدركه الإنسان بفضل ما منحه الله تعالى من وسائل تلقي المعرفة والإدراك وهي السمع والأبصار والأفئدة (العقول) ولم يتوقف المنهج القرآني عند ضرورة تكوين الإنسان لثقافته عن طريق التلقي فقط بل تعدى ذلك إلى تجهيزه بجميع وسائل المثاقفة وإرشاده والارتقاء به ليأخذ جانب الوعي مساراً ممنهجاً وفعالاً ومُجرباً ومُعتبراً قال تعالى: (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ) (الحاقة: ١٢) ويقصد القرآن بذلك أن مجمل الوقائع الحياتية السالفة والحاضرة والقابلة هي المعيار الحقيقي والرئيس الذي يُسهّم ويقدر كبير في تكوين الوعي وهو أس الثقافة.

أدوات التثقيف في المنهج القرآني:

أولاً: السمع والبصر والتعقل. فهؤلاء من أدوات التثقف الرئيسة في المنهج القرآني السمع والتلقي والحس والتعقل. وبناء على ذلك جاء التحذير القرآني واضحاً ليضع المسؤولية الكاملة على الإنسان حتى يكون رقيباً على هذه الأدوات التي منحها الله تعالى له قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء: ٣٦)

ثانياً حسن الاتباع.

فالثقافة إنما تُكتسب بالإتباع والطلب والاقتفاء والقرآن الكريم كان دقيقاً جداً حتى في انتقاء لفظة الاقتفاء هذه والتي تعني إتباع أثر الشيء وباختيار منه. ولكن حمل المقتفي للآثار العامة المحسوسة والمدركة مسؤولية الاقتفاء بعلم وفهم ودراية ليرفض الاقتفاء والالتقاط عن جهل في حراك وكسب الثقافة.

ثالثاً ضرورة التمييز بين ما هو حق وما هو باطل.

ومن هنا نقول أن المنهج القرآني بذلك يؤسس لثقافة الانتباه والأفقية الذهنية في وزن قبل قبولها فهذا أجدى في شيوخ الحق وحصار الباطل وقتله. ومن هنا مدح أهل الفكر والتفكير الذين يزنون الأفكار بميزان العدالة قبل قبولها واقتفائها فنعتهم بأصحاب العقول اللبية. قال تعالى: (... فَبَيِّضْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

فَيَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَلْبَابُ (الزمر: ١٧-١٨). ولنلاحظ بعمق حتى صورة استعمال لفظه السمع بإضافة تاء التفعيلة والتنشيط والتحفيز وفرقاً في المعنى والدلالة بين (يسمعون) و (يستمعون) فالسمع هو مجرد تلقي القول دون إعمال التفكير فيه وتعقله وهذه مصيبة كبرى وهي سبب البلاء الذي أصاب البشرية على مر العصور وما زالت البشرية تعاني من آثاره حتى الآن وإلى قيام الساعة إلا أن يتغمدتها الله بواسع رحمته. بينما الاستماع هو تلقي القول مقروناً بإعمال التفكير فيه وتعقله لينتج موقفاً وخياراً صحيحاً ومثمراً حيث إنه سيقود صاحبه إلى الفهم الصحيح الذي سياتر على سعادته في الدارين. قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ) (يونس: ٤٢) نخرج من ذلك كله أن المنهج القرآني قد اهتم بمفهوم تكوين الثقافة وصيرورتها وتمثلاتها وأدوات كسبها ومنج تطبيقها ووضع أسسا لذلك تتمثل فيما يلي:

أولاً: أن يتقن فن الكسب والتعاطي مع ما حوله مُطلقاً وأن يكون هذا التعاطي بفهم واعي وإدراك مستنير. ثالثاً: أن يكون قادراً على الأخذ بالدليل والبرهان وهو العلم هنا ليكون مسؤولاً عما يأخذه ويقتفيه (قُلْ هَٰئِنَا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: ١١١)

وللعلم إنَّ ثقافة (هَٰئِنَا بُرْهَانُكُمْ) قد تكررت في القرآن الكريم ليلفت الإنسان لأهمية الدليل في أخذ العلم والعمل به. ليكون على بينة من أمره ولا ينخدع بالمظاهر البراقة والكلام المنمق. فإذا ما وجد الإنسان ثمة ثقافة بأفانين وأشكال متعددة قد ابتعدت عن جذور القيم والأخلاق والدين والعلم والآداب وهي غير مستجيبة في الوقت نفسه لتعاليم الله تعالى وتعاليم رسله فعليه أن يعلم إنما هي ثقافة ضالة ومضلة قد نبعث من هوى الإنسان.

عشية نشر الأفكار وعبثية تليها دون تمحيص ومراجعة هي السبب الرئيس في كل ما تعانيه البشرية من مشكلات وصراعات فضلاً عن إنها حولت الإنسان إلى كائن حلامي مشوه المعالم بلا غاية أو هدف.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات له الشكر والثناء الحسن أن وفقنا على إتمام هذا العمل الذي أسأل أن يكون زاداً إلى حسن المصير اليه وعتاد إلى يمن القدوم عليه انه بكل جميل كفيلاً و حسبنا الله ونعم الوكيل وها هي القطرات الأخيرة في مشواري المبارك مع القرآن العظيم لا يسعني إلا أن أقول كما قال ربنا على لسان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧) فبعد هذا الجهد المتواضع أتم الله علي النعمة بالانتهاء من هذا البحث الذي هو بعنوان: (مفهوم الثقافة الإنسانية في التصور القرآني)

وقد تكلمت فيه من خلال محار عدة: فقد تحدثت عن مفهوم الثقافة وتعريفها وكيف تحدث عنها القرآن كما تحدثت عن تاريخ الثقافة الإنسانية في المنهج القرآني. وتكلمت عن الثقافة الإنسانية بين الربانية والمادية وعن الأسس القرآنية في بناء الثقافة الإنسانية. وعن مكونات الهوية الإنسانية ومنهجها التطبيقي كما تحدثت عنه القرآن الكريم.

وبعد البحث وفقني ربي الى العديد من النتائج تتلخص فيما يلي:

أولاً: أن القرآن الكريم قد صاغ الثقافة الإنسانية بشكل دقيق ومستقل ويتميز بالكمال والشمول. ثانياً: أن مفهوم الثقافة الإنسانية في القرآن الكريم يحيط بالإنسانية من جوانها كما أنه يغطي جميع أبعادها ويضع الحلول لكل مشاكلها.

ثالثاً: أن معالجة القرآن الكريم للإنسانية وثقافتها يتميز بالعموم والشمول والكمال بعيداً عن الجهوية أو العنصرية مع الإقرار بالاختلاف والتنوع بين البشر على عكس النظرة الغربية التي تتسم بالعنصرية والفوقية والتتكر لكل ما هو مغاير لبقى منهجها الباطل مسيطراً..

أوصي إخواني الباحثين بتوسيع دائرة البحث في هذا الموضوع بهدف:

أولاً: توضيح شمولية المنهج القرآني لكل مناحي الحياة فكرياً وثقافة وتطبيقاً.

ثانياً: قدرة المنهج القرآني على مناقشة مواضيع جديدة تثري المسلم وتثقفه وتجعله قادراً على الرد على الشبهات.

ثالثاً: توضيح الحقيقة القرآنية الثابتة، وهي أن المنهج القرآني صالح لإدارة الحياة في كل مناحيها دون التقيد بالزمان والمكان.

الرابع: بيان بطلان المناهج الأرضية في معالجة موضوع الثقافة الإنسانية وقصورها في فهمها. وأخيراً أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث وأن ارتقي بهذا العمل وأن يجعل منه اسهاماً في خدمة كتابه العزيز إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأستاذ الدكتور / محمد عبد الرحيم جمعه سليمان

أستاذ مشارك في قسم التفسير وعلوم القرآن

المصادر والمراجع

- ١- أضواء على الثقافة الإسلامية، الدكتور أحمد فؤاد محمود، إشبيلية للنشر، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص: ١٠٢-١٠٣
- ٢- أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، ص ٩، مؤسّسة الرّسالة، ط ١، ٢٠٠١ م.
- ٣- تفسير ابن كثير المؤلف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية: منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ ٢٥٠
- ٤- تفسير الظلال ج ١ ص ٥٧ المؤلف سيد قطب إبراهيم الناشر دار الشروق - مصر سنة النشر: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م
- ٥- تفسير المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس)
- ٦- تفسير القرطبي الجامع ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٤ = الأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزء
- ٧- تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤
- ٨- تفسير المنار ج ٢ ص ٢٨٢ بتصرف شديد المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: دار المنار، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م عدد الأجزاء: ١
- ٩- - تفسير مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- ١٠- تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء: ٣٠

- ١١- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج ٩، ص ٨١، ط ١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان، ص ١٦ - ١٩، باختصار شديد. المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء: ١
- ١٣- - السلسلة الصحيحة المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
- ١٤- - صحيح أبي داود المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت عدد الأجزاء: ٧ أجزاء الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
- ١٥- صحيح غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام المؤلف / محمد ناصر الدين الألباني الناشر المكتب الإسلامي. عدد المجلدات: ١. سنة نشر الكتاب: ١٤٠٠ - ١٩٨٠. عدد صفحات الكتاب: ٣٢٤. رقم الطبعة: ١
- ١٦- لسان العرب لابن منظور، ص ١٩، ج ٩، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥
- ١٧- مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ١٠٦ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
- ١٨- مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية، ص ٨٩، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد ٢، محرم ١٤١٠هـ. بتصرف
- ١٩- المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ عدد الأجزاء: ٤
- ٢٠- معجم مقاييس اللُغة، ج ١، ص ٣٨٢، بتصرف المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦
- ٢١- - مقدمات في الثَّقافة الإسلاميَّة، مفرح بن سليمان القوسي ط ٣، الرياض ١٤٢٤ هـ، ص ٣٦.